

ما دَوْرُ اغتيال الخاشقجي في تَغييرِ المَوْفَعَينِ الْأَمْرِيَكيِّ وَالْأُورُوبِيِّ لِنَهَاءِ الْحَرْبِ فِي الْيَمَنِ وَوَقْفِ الْغَارَاتِ فَوْرًا؟

هَلْ بَاتَ الْحَالُ السِّيَاسِيُّ وَشِيكًا؟ وَهَلْ سَتَّمَ التَّحَالُفُ السُّعُودِيُّ الْإِمَارَاتِيُّ أَخِيرًا بِعَدَمِ
الْقُدرَةِ عَلَى الْحَسْمِ الْعَسْكِرِيِّ؟ وَلِمَاذَا وَقَفْنَا مُنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ فِي خَنْدَقِ الشَّعْبِ الْيَمَنِيِّ
وَتَوَقَّعْنَا هَذِهِ النَّتْيِيجَةَ؟

عبد الباري عطوان

إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ إِيجَابِيَّةٌ وَاحِدَةٌ لاغْتِيَالِ الصَّحَافِيِّ السُّعُودِيِّ جَمالِ الْخَاشِقِيِّ بِطَرِيقَةٍ دَمَوِيَّةٍ
بِشَعْرَةٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقْدِمُ عَلَيْهَا بَشَرٌ، فَإِنَّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَمْثُلَ فِي تَزَارِيْدُ احْتِمَالَاتِ إِنْهَاءِ الْحَرْبِ
الْيَمَنِيَّةِ، وَإِعادَةِ الْاسْتِقْرَارِ وَالْأَمْنِ إِلَى هَذَا الْبَلَدِ الشَّقِيقِ الَّذِي يَنْضَجُ عُرُوبَةً وَكَرَامَةً
وَكَمَّ هَائِلٍ مِنْ قِيمِ الشَّجَاعَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْإِبَاءَةِ.

اعْتِرَافُ الْقِيَادَةِ السُّعُودِيَّةِ بِالْوَقْوفِ خَلْفِ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ، وَاعْتِقالُهَا 18 شَخْصًا مِنْ أَعْصَاءِ فَرَيقِ
الْمَوْتِ الَّذِي نَفَّذُهَا وَتَسْلِيمُهَا بِأَنَّ الْعَمْلِيَّةَ كَانَتْ مُدْبَّرَةً مُسْبَقًا، بَعْدَ اطْلَاعِهَا عَلَى
أَدْلَالِهِ تَرْكِيَّةٍ دَامِيَّةٍ، وَتَزَارِيْدُ حِدَّةِ الْغَصَبِ الْعَالَمِيِّ تُجَاهَهَا، حَشَرَهَا فِي زَاوِيَةِ صَعْبَةٍ،
وَأَضْعَفَ مَوْقِفَهَا مَحَالِيًّا وَدُولِيًّا، وَنَقَلَهَا مِنْ مَوْقِعِ الْهُجُومِ إِلَى مَوْقِعِ الدِّفاعِ،
وَالْبَحْثُ بِكُلِّ الطُّرُقِ وَالْوَسَائِلِ لِتَجاوزِ هَذِهِ الْأَزْمَةِ مَهْمَا كَانَ حَجمُ الْخَسَائِرِ الْمَالِيَّةِ أَوِ
السِّيَاسِيَّةِ.

فَجَأَةً عَادَتِ الْحَرْبُ الْيَمَنِيَّةُ "الْمَنْسِيَّةُ" إِلَى الْعَنَاوِينِ الرَّئِيسِيَّةِ، وَتَعَالَّتِ الْأَصْوَاتُ الَّتِي تُطَالِبُ
بِوَقْفِهَا فَوْرًا، وَالدَّاعَوَةُ إِلَى مُفَاوضَاتٍ تَنْخَرِطُ فِيهَا الْأَطْرَافُ الْمَعْنَيَّةُ لِلْوُصُولِ إِلَى حَلٍّ
سِيَاسِيٍّ دَائِمٍ.

— أَوْلًا: سَمِعْنَا جِيمَ مَاتِيس وزِيرَ الدِّفاعِ الْأَمْرِيَكيُّ يَدْعُو (الْثَلَاثَاءَ) إِلَى وَقْفِ إِلْطَاقِ الْذَّارِ فِي
غُصُونَ 30 يَوْمًا، وَتَبَدَّلَ الْمَطَلَّبُ نَفْسَهُ وزِيرُ الْخَارِجِيَّةِ مَايِكْ بُومَبِيوُ الَّذِي طَالَّبَ التَّحَالُفَ الَّذِي

تَقْوِيْهُ الْمُمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ بِوَقْفِ كُلِّ الْغَارَاتِ الْجَوِيَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ الْمَأْهُولَةِ فَوْرًا.

ثَانِيًّا: إعلانٌ مارتين غريفيت، المَبْعُوثُ الدُّولِيُّ إِلَى الْيَمَنِ، اسْتِمْرَارُ التَّزَامِ بِجَمِيعِ الأَطْرَافِ الْيَمَنِيَّةِ حَوْلِ مَاِئِدَةِ الْمُفَاوِضَاتِ فِي غُصُونٍ شَهْرٍ (لَاحْظُوا التَّسْنِيقَ)، لَأَنَّ الْحَوَارَ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ لِلْوُصُولِ إِلَى اتِّفَاقٍ شَامِلٍ.

ثَالِثًّا: وزِيرَةِ الدِّفَاعِ الْفَرَنْسِيَّةِ فُلُورِنْسِ بَارْلِي قَالَتْ لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِتَتَوَقَّفَ الْحَرْبُ فِي الْيَمَنِ، مُكْرِرًا استِنْكَارَهَا لِلْأَزْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَاسْتِمْرَارَهَا، بَيْنَمَا أَكَّدَتْ تِيرِيزَا مَايِّ، رَئِيسَةِ وزَرَاءِ بَرِيطَانِيَا، أَنَّهَا عَلَى اتِّصَالٍ مَعَ الْوَلَيَاتِ الْمُتَحَدَّةِ لِلْدَّافُعِ بِاتِّجَاهِ حَلٍّ سِيَاسِيٍّ دَائِمٍ.

رَابِعًّا: مَارِكُ لُوكُوكُ، مُسَاعِدِ الْأَمِينِ الْعَالَمِيِّ لِلْأُمُومِ الْمُتَحَدَّةِ، أَكَّدَ أَمْسَى أَنَّ 14 مِلْيُونَ يَمْنِيٍّ عَلَى حَافَّةِ الْمَجَاجِعَةِ، وَأَنَّ الْوَفِيقَاتِ مِنْ جَرَائِمِ التَّسْغِيَّةِ، أَوِ انْدَعَامِهَا، تَتَضَاءَلُ فِي صُفُوفِ الْأَطْفَالِ خَاصَّةً فِي طَلِيلِ انْدَعَامِ شَبَهِ كَامِلِ الْعِنَيْفِيَّةِ الصَّحيَّةِ وَمُواجِهَةِ الْأَوْبَيْنَةِ وَعَلَى رَأْسِهَا الْكُولِيرِيَا.

جَمِيعُ هَذِهِ الْحُكُومَاتِ الْغَرْبِيَّةِ، وَالْأَمْرِيْكِيَّةِ وَالْفَرَنْسِيَّةِ وَالْبَرِيطَانِيَّةِ تَحدِيدًا، كَانَتْ مِنْ أَبْرَزِ الْمُؤْيِّدِينَ لِهَذِهِ الْحَرْبِ، وَالْمَدْعِيَّينَ لِلتَّحَالُفِ الْسُّعُودِيِّ الْإِمَارَاتِيِّ بِالسَّلَامِ وَالذَّخَائِرِ، وَقَدْ مَأْتَتِ الصَّفَّقَاتِ، وَمَا تَدَرَّهُ مِنْ مِلِيَارَاتِ عَلَى الْمَبَادِئِ وَقِيمَ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَمَا دَفَعَهَا لِلتَّرَاجُّعِ عَنِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْمُخْجِلَةِ هُوَ إِطَالَةُ أَمَدِ الْحَرْبِ، وَاقْتِرَابُهَا مِنْ بَدَايَةِ الْعَامِ الْخَامِسِ دُونَ تَحْقِيقِ أَيِّ مِنْ أَهْدَافِهَا.

مُنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، وَمُنْذُ الْغَارَةِ الْأُولَى، وَفَقَنَا ضَدِّ هَذِهِ الْحَرْبِ، وَتَبَيَّنَ أَنَا بِذِقَّةِ عَارِمَةٍ بِفَشَلِهَا، فِي وَقْتٍ كَانَ الْكَثِيرُونَ يُخَالِفُونَا الرَّأْيَ، وَيَتَوَقَّعُونَ الْحَسْمَ فِي غُصُونٍ أَسَابِيعَ، لَأَنَّهُ لَا يُوجَدُ مُقَارِنَةٌ بَيْنَ قُوَّةِ التَّحَالُفِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْجَبَّارَةِ الْمُدْعَمَةِ بِأَحَدَثِ الطَّائِرَاتِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ، وَقُوَّةِ الْصَّحِيَّةِ الْيَمَنِيَّةِ الْمُسْتَهْدَفَةِ، وَشَبَهِ الْبَدَائِيَّةِ، وَاسْتِفْحَالِ الْانْقَسَامِ فِي الْيَمَنِ الْخَارِجِ لِتَوْهِ مِنْ حَرْبِ اسْتِنْزَافِ دَاخِلِيَّةٍ تَحْتَ عُنُوانِ ثَوْرَةِ "الرَّبِيعِ الْعَرَبِيِّ".

تَوَقَّعْنَا فَشَلَ هَذِهِ الْحَرْبَ لَأَنَّنَا نَعْرِفُ الشَّعْبَ الْيَمَنِيَّ وَتَارِيخَهُ الْحَافِلِ بِالْبُطُولَاتِ وَالْاِنتِصَاراتِ، وَإِلَحَاقِ الْهَزَائِمِ بِالْإِمْپِراَطُوريَّاتِ الْفَارَسِيَّةِ، مَهْمَا كَانَتْ قَوْتُهَا وَجَبَرُوتُهَا، الْمَلَكُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ سَعْدَ كَانَ حَكِيمًا عِنْدَمَا طَلَبَ مِنْ وَلَدِيهِ الْأَمْرِيْرِينَ سَعْدَ وَفِيْصلَ الْعُودَةَ فَوْرًا وَعَدَمَ الْبَقاءِ فِي الْأَرْضِ الْيَمَنِيَّةِ سَاعَةً، وَقَالَ لِمُسْتَشَارِهِ عَبْدِ الْفِيلِيِّ، الَّذِي عَارَضَهُ فِي ذَلِكَ "اسْكَتْ أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْيَمَنَ.. إِنَّهُ مَقْبَرَةُ الْغُزَاةِ"، وَمِنْ الْمُؤْسِفِ أَنَّ مَنْ أَشْعَلَ فَتِيلَ هَذِهِ الْحَرْبِ لَمْ يَقْرِأْ التَّسْمَارِيَّةَ، وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَى الْجُغرَافِيَّةِ، زَقْصَدَ تَارِيخَ الْيَمَنِ وَجُغرَافِيَّتَهُ، خَاصَّةً الدِّيْمُوغرَافِيَّةِ مِنْهَا.

المَسْؤُلُونَ الْأَمْرِيَكِيُّونَ الَّذِينَ أَفَاقُوا فَجَأَةً عَلَى الْحَرَبِ فِي الْيَمَنِ وَيُرِيدُونَ إِنْهَاءَهَا فِي أَيَّامٍ مَعَدُودَةٍ، لَمْ يَنْطَلِقُوا مِنَ الْحِرْصِ عَلَى دِمَاءِ الشَّعْبِ الْيَمَنِيِّ وَأَرْوَاهِهِ، وَإِنَّمَا لِإِيجَادِ مَخْرَجٍ لِلتَّحَالُفِ الَّذِي تَقْوِدُهُ السُّعُودِيَّةُ مِنْ هَذِهِ الْمَصِيدَةِ الَّتِي دَمَّرَتْ صُورَتَهُ فِي الْعَالَمِ، وَاسْتَنْزَفَتْ ثَرَوَاتِهِ (تَكَالِيفُ الْحَرَبِ 9 مِلِيَارٌ شَهْرِيًّا)، وَبَاتَتْ تُهْدَدُ بِإِعْطَاءِ نَتَائِجٍ عَكْسِيَّةٍ أَبْرَزَهَا تَفْكِيكُ الْمُمْلَكَةِ، وَزَعْزَعَهُ أَمْنَهَا وَاسْتَقْرَارُهَا، وَاسْتِنْزافُهَا مَالِيًّا، وَتَدْمِيرُ اقْتِصَادِهَا، وَاقْتِصَادِ حَلَيْفِهِ الْإِمَارَاتِيِّ، مِنْ جَرَاءِ إِطْلَاقِ سَوَارِيخٍ أَكْثَرَ دَقَّةً فِي إِصَابَةِ أَهْدَافِهَا.

رُبَّمَا نَكُونُ قَدْ بَالَغَنَا قَلِيلًا فِي نَسْبَهُ هَذِهِ "الْهَبَّةُ" لَوَقَفَ الْحَرَبُ إِلَى اغْتِيَالِ الْخَاشِقِيِّ، وَانْعَكَسَتْهَا عَلَى الْمُمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، وَلَكِنَّنَا نَنْسِبُ الْفَضْلَ، وَمُعَظَّمُهُ تَحْدِيدًا إِلَى الشَّعْبِ الْيَمَنِيِّ الَّذِي قَاتَلَ بِشَرَاسَةٍ دَفَاعًا عَنْ أَرْضِهِ وَكَرَامَتِهِ وَتَارِيخِهِ وَعُرُوبَتِهِ، فَلَا وَلَا هَذَا الصَّمُودُ الْبُطُولِيُّ لِمَا اسْتَمَرَتْ هَذِهِ الْحَرَبُ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ تَقْرِيبًا، إِنَّهَا الْحَقِيقَةُ الَّتِي لَا يُمْكِنُ تَحَاوِرُهَا بِأَيِّ شَكَلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ.

كَانَ لِدِينَا ثِقَةٌ رَاسِخَةٌ بِأَنَّ التَّحَالُفَ السُّعُودِيِّ الْإِمَارَاتِيِّ خَسَرَ هَذِهِ الْحَرَبَ عِنْدَمَا عَاجَزَ كُلَّ يَمِيَّا عَنِ السُّيْطَرَةِ عَلَى مَدِينَةِ الْحَدِيدَةِ رَغْمَ أَشْهُرٍ مِنِ الْقِتَالِ وَالْقَصْفِ الْجَوِيِّ وَالْأَرْضِيِّ، وَالْاِسْتِعَانَةِ بِكُلِّ قُوَّاتِ الْأَرْضِ.

سَدَّطَّالِ زَقْرِفُ فِي خَنْدَقِ الْيَمَنِ، كُلُّ الْيَمَنِ، فِي مُوَاجَهَةِ هَذِهِ الْعُدُوانِ حَتَّى يَنْتَهِي، وَيَعُودُ الْيَمَنُ مُسْتَقْرِرًا سَلِيمًا وَمُعَافِيًّا، وَمُتَصَالِحًا مُتَسَامِحًا عَلَى أَرْضِهِ الْهُوَيَّةِ الْوَاحِدَةِ الْوَطَنِيَّةِ الْجَامِعَةِ وَالْمُوحَّدَةِ، وَلَا زَعْتَقَدُ أَنَّ هَذِهِ الْأَمَانِيَ صَعْبَةٌ عِنْدَمَا زَدَّهَدَتْ عَنِ أَهْلِ الْحِكْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ الرَّاسِخَةِ فِي جُذُورِ التَّارِيَخِ.. وَإِنَّ غَدَّا لِلنَّاظِرِ هُوَ قَرِيبٌ.